فلا بأس عليهما أن يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصّلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا
ونحو اصلح اصبر فيما اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة
ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها
كما فعلت سودة بنت زمعة رضي الله عنها حين كرهت أن يفارقها رسول الله
عليه السلام وعرفت مكان عايشة رضي الله عنها من قلبه فوهبت لها
يومها وكما روي أن امرأة اراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها وكان لها
منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين
فقال إن كان هذا يصلح فهو أحب إلي فاقرها أو تهب له بعض المهر أو كله أو
النفقة فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها باحسان أو يسرحها والصلح خير
من الفرقة أو من النشوز والاعراض وسوء العشرة أو هو خير من الخصومة
في كل شيء أو الصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه
الجملة اعتراض وكذلك قوله وأحضرت الأنفس الشح ومعنى احضار الانفس
الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا ينفك عنه يعني أنها مطبوعة
عليه والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد
نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها وإن تحسنوا
بالاقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك
مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي إلى الأذى
والخصومة فإن الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم
عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني ادم وامرأته من اجملهم فاجالت
في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك فقالت حمدت الله على أني
وإياك من أهل الجنة قال كيف قالت لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت
مثلك فصبرت وقد وعد الله تعالى الجنة عباده الشاكرين والصابرين
ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل
فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما
وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولن تستطيعوا
ومحال أن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا
زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما
كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لأن
تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه
أن تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه
فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تأخذني فيما تملك ولا أملك
يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه وقيل إن العدل بينهن
أمر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لأنه يجب أن يسوي
بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة
والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد

الاستطاعة هذا إذا كن محبوبات كلهن فكيف إذا مال القلب مع بعضهن
فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها
قسمتها من غير رضى منها يعني أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر
والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب
من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة
قال، هل هي إلا حظة أو تطليق، أو صلف أو بين ذاك تعليق،
وفي قراءة أبي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان
يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وروي أن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بعث إلى أزواج رسول الله عليه السلام بمال فقالت
عائشة رضي الله عنها إلى كل أزواج رسول الله بعث عمر رضي الله عنه
مثل هذا قالوا لا بعث إلى القرشيات بمثل هذا وإلى غيرهن بغيره فقالت
ارفع رأسك فإن رسول الله عليه السلام كان يعدل بيننا في القسمة بماله
ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتم لهن جميعا وكان لمعاذ رضي الله عنه
امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى فماتتا في
الطاعون فدفنهما في قبر واحد وإن تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه
بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وفرج وإن يتفرقا يعني وإن
يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه
وعيشا أهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني
المقتدر ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله
ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات
وما في الأرض وكفى بالله وكيلا من قبلكم متعلق بوصينا أو بأوتوا
وإياكم عطف على الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكتاب اسم للجنس
يتناول الكتب السماوية أن اتقوا بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة
لأن التوصية في معنى القول وقوله وإن تكفروا فإن لله عطف على
اتقوا لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا
فإن لله والمعنى أن لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف
النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه
ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة
ووصيناكم أن اتقوا الله يعني أنها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها
عباده لستم بها مخصوصين لأنهم بالتقوى يسعدون عنده وبها
ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله في سمواته
وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله
مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لأن يحمد لكثرة
نعمه وإن لم يحمده أحد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات والأرض

Copyright © King Saud University